المخطوطات والتراث العربي

تأليف

دكتور عبد الستار الحلوجي

أستاذ المكتبات والمعلومات

كلية الآداب ـ جامعة القاهرة

الدار المصرية اللبنانية

المخطوطات والتراث العربي

الدار المصرية اللبنانية

16 عبد الخالق ثروت - ص . ب 2022 برقيا دارشادو - القاهرة - ت : 3923525 - 3936743 - فاكس : 3909618

رقم الإيداع : 18248 / 2001
تجهيزات فنية : الإسراء ت : 3143632

الترقيم الدولى : 8 - 712 - 270 - 977
طبع: أمون ت : 7944356 - 7944517
الطبعة الأولى : شوال 1422 هـ يناير 2002 م

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة

بسم الله الرحمـٰن الرحيم

﴿ رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ ﴾

صدق الله العظيم

(سورة الأعراف، آية ٨٩)

إهداء

إلى روحين كريمين لعالمين جليلين وصديقين عزيزين..

اجتمعا على حب المخطوطات والاشتغال بها دراسةً وتحقيقًا..

وجمعهما معًا مكتب واحد في معهد المخطوطات العربية لسنوات طوال

ثم تفرقت بهما السبل وبقي بينهما الود والحب والتواصل والاحترام.

كلاهما كان يتمتع بدماثة الخلق وغزارة العلم وخفة الظل وتواضع العلماء..

وكلاهما كانت له قدم راسخة في تراثنا العربي، وكان حجة في علم المخطوطات.

إلى الراحلين العزيزين..

الأستاذ الدكتور **عبد الفتاح الحلو** والأستاذ الدكتور **محمود الطناحي**

أهدي هذا الكتاب، تقديراً لعظيم عطائهما، ووفاءً ببعض حقهما عليّ.

جمادى الأولى ١٤٢٢هـ

أغسطس ٢٠٠١م

عبدالستارالحلوجي

مقدمة

المخطوطات والتراث بالنسبة لي هوًى قديم، فقد حصلت على الثانوية العامة من القسم العلمي، ومع ذلك آثرت دخول قسم اللغة العربية بكلية الآداب. ثم قدِّر لي أن أُبتعث إلى انجلترا في عام ١٩٦١م لدراسة المكتبات، وأن أعود لأعمل بقسم المخطوطات وبمركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية فيما بين عامي ١٩٦٤ و ١٩٧٠م. وخلال تلك الفترة أعددت رسالتي التي حصلت بها على الدكتوراه عن «المخطوط العربي منذ نشأته إلى آخر القرن الرابع الهجري»، وهي أول رسالة تتصدى لدراسة المخطوط العربي، وتحاول أن تحدد ملامح الفترة الأولى من تاريخه، وهي أصعب الفترات على الإطلاق.

وانتقلت للتدريس بالجامعة، وانتقل معي شغف بالتراث المخطوط لاحدّ له، وقناعة كاملة بأن عصر المخطوطات العربية هو العصر الذي تألق فيه الفكر الإسلامي والإبداع العربي، وبأن أنفس ما تقتنيه مكتباتنا هو التراث المخطوط الذي يمكن من خلاله أن نتعرف على سمات الحضارة العربية الإسلامية في أزهى عضورها. فهذا التراث هو الذي شكَّل وجدان الأمة، وهو الذي صان وحدتها على مرّ العصور، وفي ظله تهاوت الحدود الجغرافية والفوارق العرقية، وفي تياره امتزجت العروبة والإسلام امتزاجًا رائعًا. فالإمام البخاري ـ مثلاً ـ استقرّ في ضمائرنا وأصبح أحد مكوِّنات نسيجنا الثقافي دون أن يخطر على بال أحد أن يفكر في جنسيته أو موطنه، ودون أن يتساءل أحد: هل هو عربي أو غير عربي. فقد ذابت العروبة في بوتقة الإسلام كما ذابت جنسيات أخرى كثيرة ولغات

أخرى كثيرة، وبقي ذلك الرحيق المصفَّى الذي يطلق عليه «التراث العربي المخطوط». والعروبة هنا عروبة لغة ولسان، لا عروبة عرق أو مكان.

وفي الصفحات التالية مجموعة دراسات عن المخطوطات العربية والتراث العربي، قدِّم بعضها في مؤتمرات وندوات علميه، ونُشر بعضها الآخر في دوريات متخصصة. وكلٌّ منها يحاول أن ينظر إلى التراث المخطوط من زاوية من زواياه، وأن يبرز جانبًا من جوانبه. وكلها تصبّ في إناء واحد، وتتشابك خيوطها لتشكِّل في النهاية نسيجًا واحدًا يستجلي منه القارئ بعض ملامح تراثنا العربي المخطوط.

القاهرة في جمادى الأولى ١٤٢٢هـ / أغسطس ٢٠٠١م

د.عبدالستارالحلوجي

المحتويات

- إهـداء ٧
- مقدمـة ٩

أولاً: المخطوطات ١٣

- فن الفهرسة: المصطلح والحدود ١٥
- فهارس المخطوطات ٢٧
- نحو خطة عربية لتجميع تراثنا المخطوط ٤٣
- مسؤولية جامعاتنا تجاه تراثنا المخطوط ٥٨
- تحقيق المخطوط الفلسفي في مصر ٦٩
- تجربة مؤسسة الفرقان في حصر المخطوطات الإسلامية في العالم ٧٥
- إسهامات صلاح الدين المنجد في تأصيل علوم المخطوط العربي ٨٥
- الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات ١٠٦
- فهرسة المخطوط العربي ١١٩

ثانياً: التـراث ١٢٩

- نشأة علم الببليوجرافيا عند المسلمين ١٣١
- ابن النديم وكتابه «**الفهرست**» ١٤٣
- تراثنا الفقهي وقضاياه الببليوجرافية ١٦١
- **المصادر التي نشرت فيها البحوث والمقالات** ١٧٤

* * *

أولاً : المخطوطات

فن الفهرسة:
المصطلح والحدود*

مقدمة:

اللغة تواضع واصطلاح، وليس من حق أحد أن يصكّ لفظًا للدلالة على معنًى معين في ذهنه ما لم يكن لهذا اللفظ نفس المعنى عند المتلقين. فالإنسان لا يكتب لنفسه وإنما يكتب للآخرين، ومن ثم ينبغي على كل كاتب ألا يغفل قراءه الذين يتوجه إليهم بكتابته، وأن يضعهم في ذهنه حين يكتب، لأن هؤلاء القراء هم الذين يحددون مستوى الكتابة، وإلى أي مدى يمكن للكاتب أن يستخدم ألفاظًا متخصصة أو عامة. فمقال في صحيفة سيارة تخاطب القاعدة العريضة من المجتمع وتتباين مستويات ثقافة قرائها، ينبغي أن تختلف لغته ويختلف أسلوبه عن مقال في الموضوع نفسه ينشر في مجلة متخصصة لا يقرؤها عادة إلا المتخصصون في المجال.

وقديمًا قالوا: خطأ مشهور خير من فصيح مهجور. ومعنى هذا أن الكاتب ينبغي أن يخاطب قراءه باللغة التي يفهمونها حتى ولو لم تكن هي اللغة الأمثل. ولا يعني ذلك أن يتمرد الكاتب على اللغة وقوالبها ودلالات ألفاظها، وإلا أصبح الخيار بين خطأ مشهور وخطأ مهجور، لا بين خطأ مشهور وفصيح مهجور.

* نشر في كتاب: «فن فهرسة المخطوطات؛ مدخل وقضايا». تنسيق وتحرير فيصل الحفيان. القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٩٩٩م، ص ١٩-٣١.

ومعروف أن العرب ـ منذ العصر الجاهلي ـ اقتبسوا ألفاظًا أجنبية، ولم يتحرجوا من استخدامها، بل إن بعض هذه الألفاظ قد ورد في القرآن الكريم نفسه وهو معجزة بلاغية في حدّ ذاته. وورود مثل هذه الألفاظ في القرآن يدل على أنها قد استقرت في لغة العرب بدلالات محددة لم يستنكرها أي عربي. وحينما بدأت حركة الترجمة في أوائل العصر العباسي ظهرت في لغة العرب مسميات أجنبية لعلوم أو فروع من علوم كالجغرافيا والفلسفة والغورثمي، وهذه المسميات تقبلها الناس واستعملوها، وكانت دلالاتها واضحة في أذهانهم.

وفي العصر الحديث، وكنتيجة طبيعية للاتصال بالثقافات الأجنبية والانفتاح عليها والنقل عنها منذ القرن الماضي، بدأت الألفاظ الوافدة تطل برأسها من جديد، وبرزت بصورة أوضح مع التطورات التكنولوجية التي شهدها القرن العشرون، والتي أفرزت منتجات وأجهزة لم يكن للبشرية بها عهد من قبل، كالتليفون والتليفزيون والفيديو والكمبيوتر وكثير غيرها.

وهناك فكرة سائدة بأن الترجمة في العلوم أسهل منها في الآداب. والتعميم هنا غير صحيح. ففي الأدب ـ مثلاً ـ تسهل ترجمة النثر من قصص وروايات ومسرحيات، وتظهر المشكلة في الشعر، خاصة إذا أردنا أن ننقله في قالب شعري يراعي طبيعة اللغة المنقول إليها والضوابط التي تحكم النظم فيها من وزن وقافية.

وفي العلوم الرياضية قد يتجنب الكاتب استعمال اللغة الطبيعية ويستخدم الرموز والأرقام عوضًا عنها، حتى لا يترك مجالاً للاجتهاد أو الاختلاف في فهم دلالات الألفاظ.

ومع هذا يبقى لكل علم لغته ومصطلحاته التي يعرفها ويتعامل بها ذووه. وليس مطلوبًا أن تكون دلالات هذه المصطلحات معروفة للقارئ العادي، ولكنها يجب أن تكون واضحة ومحددة في ذهن القارئ المتخصص، وإلا فقدت اللغة وظيفتها كوسيلة للتفاهم والتواصل بين الناس. ولعل عبارة «اللغة المشتركة»

توضح هذا المعنى، لأن المقصود بها أن يكون الكلام واضحًا ومفهومًا عند من يشتركون مع المؤلف في تخصصه.

تلك مقدمة أراها ضرورية بين يدي هذا الحديث الذي أريد أن أتناول فيه قضية المصطلح في علم من العلوم التي تعتبر حديثة في نظر أكثر الناس، مع أن له جذورًا تضرب في التاريخ العربي لأكثر من ألف عام مضت، وأعني به علم المكتبات الذي أصبح تخصصًا من التخصصات الأكاديمية بجامعاتنا منذ ما يقرب من خمسين عامًا، والذي اتسعت دائرته في الفترة الأخيرة لتشمل ما يطلق عليه حاليًا «علم المعلومات» على أساس أن المكتبة اشتقت تسميتها من الكتاب الذي ظل الوعاء الأوحد والأساس للمعلومات لقرون طويلة. أما الآن فقد بدأ يتنازل عن عرشه ويتخلى عن مكانته تدريجيًا لأوعية أخرى حديثة لم تكن تخطر للبشرية على بال منذ عشرات السنين.

وقد ارتبطت كلمة «المكتبات» منذ دخولها الجامعات المصرية بكلمة أخرى هي «الوثائق» وتبادلت معها المواقع، فمرة يقال قسم المكتبات والوثائق، ومرة أخرى يقال قسم الوثائق والمكتبات. ومن حسن الحظ أن الواو في اللغة العربية لا تفيد الترتيب، أو بعبارة أخرى لا تفيد التقديم أو التأخير، ولا تعطي أولوية لما قبلها على ما بعدها، وإلا لثار بين المكتبيين والوثائقيين جدل كثير.

وفي هذه المحاولة الاستطلاعية أو الكشفية التي تهدف بالدرجة الأولى إلى إلقاء بعض الضوء على مشكلة المصطلح في فرع من فروع هذا التخصص، وإثارة أذهان المشتغلين به للتفكير والمشاركة بالرأي، لابدَّ من الإشارة إلى أن لدينا في هذا المجال تراثًا خصبًا ينبغي أن ننشره على الناس، وأن نؤصله ونستثمره ونستفيد منه. ولابد من الاعتراف بأن تراثنا في مجال المصطلح الوثائقي أغنى بكثير من الرصيد المتاح لنا في مجال المصطلح المكتبي[١]، وأن علم الوثائق كان

(١) انظر على سبيل المثال: ابن فضل الله العمري: التعريف بالمصطلح الشريف.
المنهاجي الأسيوطي: جواهر العقود ومعين القضاة والموثقين والشهود.
الونشريسي: المنهج الفائق والمنهل الرائق.

أسعد حظًا من علم المكتبات فيما يتصل بالمصطلحات، لأنه يتعلق بالتعاملات بين الناس، ولذا نشأ علم الشروط وظهرت كتب المصطلح الوثائقي منذ القرن الثالث الهجري(١)، و«احتاط الشروطيون على قدر ما وسعهم الجهد عند انتقاء الألفاظ وتركيب الصيغ الفقهية بحيث تكون غاية في الدقة، فإن أي اختلاف حول تفسير أي لفظ أو صيغة قد يؤدي إلى الدفع ببطلان الوثيقة»(٢).

وإذا كان علم الوثائق ـ أو علم الشروط كما كان يسميه القدماء ـ علمًا له جذوره في تراثنا الحضاري، فإن أكثر علوم المكتبات تدخل تحت مظلة العلوم الحديثة. ولأن أوائل الذين اشتغلوا بها وكتبوا فيها قد درسوا في الغرب، فلم يكن غريبًا أن نرى المصطلحات الأجنبية تستقر في أذهانهم وتدور بكثرة على ألسنتهم، وإن حاول البعض أن يلتمس ألفاظًا ومصطلحات عربية يستعيض بها عن الألفاظ والمصطلحات الأجنبية المعربة، وهي محاولة تستحق التشجيع بشرطين: أولهما أن يكون المصطلح المستخدم صحيحًا من الناحية اللغوية. وثانيهما أن يكون دقيقًا في الدلالة على المعنى الذي يعبر عنه. ولتوضيح ذلك أقول إن التليفزيون يطلق عليه في بعض البلاد العربية كلمة «تلفاز». ومفعال كمنشار صيغة عربية من صيغ اسم الآلة، ولكن هناك فعلاً عربيًّا هو «نشر» ولا يوجد في الأفعال العربية «لفَز»، ومن ثم فكلمة «تلفاز» كلمة غير عربية وإن تَخفَّت في زيٍّ عربي.

والمشكلة في قطاع المكتبات وعلوم المعلومات أن الخلاف في المصطلحات لا يقتصر على الفروع والجزئيات وإنما تتسع شقته ليشمل الأصول والكليات، وإلا فبماذا يمكن أن نسمي الخلاف بين المتخصصين في تسمية المجال نفسه، وفي مسميات بعض علوم المكتبات ومؤسساتها وتجهيزاتها؟ فكلمة Information تترجم

---

(١) انظر مصطفى أبو شعيشع: نشأة علم الوثائق عند المسلمين. مجلة **«عالم الكتب»**، مج١٠، ع٢ (مايو ١٩٨٩م)، ص١٦٢-١٨٢.

(٢) المصدر السابق، ص ١٧٣.

في الغالب بكلمة «المعلومات»، وإن لم يمنع هذا من ترجمتها بكلمة «الإعلام» التي تظهر في مسميات بعض المعاهد والبرامج الدراسية[1].

ومن ينظر في أدلة الكليات والمعاهد التي تدرَّس بها علوم المكتبات، وفي مسميات المواد الدراسية، يدرك أن وحدة المصطلح توشك أن تكون مفقودة بين العاملين في المجال، وهو أمر تؤكده مقابلة مصطلحات المعاجم المتخصصة مع بعضها، ومع المصطلحات التي تجمعها بعض المؤلفات وتعرِّف بها فيما يسمى Glossaries، وتؤكده أيضًا الدراسة التي نشرها رشيد عبد الحق، والتي ختمها باثنين وثمانين مصطلحًا من مصطلحات الفهرسة جمعها من أحد عشر مصدرًا وقارن بين مقابلاتها في تلك المصادر[2]، وذلك رغم جهود مجامع اللغة العربية ومكتب تنسيق التعريب التابع لجامعة الدول العربية، ورغم ما يعقد من مؤتمرات وندوات لتوحيد منهجيات وضع المصطلحات، كتلك الندوة التي عقدت بالرباط سنة ١٩٨١. ولاشك أن من أسباب هذه الظاهرة عدم وجود جمعيات علمية متخصصة قوية، تحظى باحترام المتخصصين، ويكون من مهامها رعاية التخصص وتقنين مصطلحاته ونشرها بين أعضائها. ومن أسبابها أيضًا أن مطبوعات مجامع اللغة العربية التي تقرّ المصطلحات لا تصل إلى أيدي المتخصصين، ومن ثم لا تؤتي ثمارها المرجوة منها:

الفهرسة والمخطوطات:

ولسوف يركز هذا المقال على مجال واحد من مجالات علوم المكتبات هو الفهرسة، وفهرسة المخطوطات بصفة خاصة.

وغني عن القول أن لكل لفظ من الألفاظ دلالة لغوية، وأن بعض الألفاظ يحمَّل بدلالات اصطلاحية عند أهل الاختصاص، فالحديث لغةً هو الكلام. أما

---

(١) كما هو الحال في مدرسة علوم الإعلام بالرباط.

(٢) رشيد عبد الحق: المصطلحات العربية في علوم المكتبات: دراسة لغوية وتطبيق على ألفاظ الفهرسة والفهارس. تونس: المعهد الأعلى للتوثيق، ١٩٨٣م، ص ١٦٣-١٧٦.

اصطلاحًا فهو كلام النبي ﷺ خاصة، والفقه في اللغة هو الفهم. أما في الاصطلاح فهو فهم أحكام الدين بصفة خاصة.

ومعروف أن اللفظ الواحد كثيرًا ما يحمل عدة معاني، فالمكتبة ـ مثلاً ـ قد يقصد بها المبنى الذي تجمع فيه الكتب وتنظم بقصد الاستفادة منها (Library)، وقد يطلق اللفظ على الحانوت الذي يبيع الكتب (Book Shop)، أو الأدوات الكتابية (Stationary)، كما قد يطلق على سلسلة من الكتب ينتظمها مجال معرفي واحد فنقول مثلاً: المكتبة الجغرافية، والمكتبة الفلسفية، وهكذا.

ولفظ (الفهرسة) فارسي معرَّب، ويعرِّف أصحاب المعاجم العربية (الفهرس) بأنه «الكتاب الذي تجمع فيه الكتب، معرَّب فهرست»(١). وفي استخداماتنا العادية نقول: فهرس المكتبة، وفهرس الكتاب، وفهرس الأعلام أو الأماكن أو القوافي. وابن النديم ألف كتابًا سماه «الفهرست» منذ أكثر من ألف عام. وكلمة (الفهرس) في كل واحد من هذه الاستخدامات الأربعة لها معنى يختلف تمامًا عن المعاني الأخرى. ففهرس المكتبة هو أداة التعريف بمقتنياتها، وهو يقدم البيانات التي تكفل تمييز كل وحدة من هذه المقتنيات عما سواها، بحيث يتميز كتاب عن غيره وإن اتفق معه في العنوان، وتتميز طبعة للكتاب عن طبعة أخرى من الكتاب نفسه للمؤلف نفسه. وفهرس الكتاب هو قائمة محتوياته Table of Contents، وفهرس الأعلام أو الأماكن أو القوافي هو الكشاف Index الذي تسرد فيه أسماء الأشخاص أو الأماكن الواردة في الكتاب في ترتيب هجائي ييسر الوصول إليها، و**فهرست** ابن النديم عمل ببليوجرافي بأدق معاني الكلمة، لأنه يحصي الكتب التي ألفت باللغة العربية أو ترجمت إليها في مختلف فروع المعرفة حتى سنة ٣٧٧هـ كما نصّ على ذلك صراحة في مقدمته.

ولم يكن ابن النديم هو أول من استخدم لفظ (الفهرس) أو (الفهرست) للدلالة على ما يطلق عليه الآن (الببليوجرافيا)، فقد استُخدم اللفظ قبله بقرنين

---

(١) الفيروز آبادي: القاموس المحيط، ط٥. القاهرة: المكتبة التجارية، ١٩٥٤م، جـ ٢، ص٢٣٨.

من الزمان، بدليل أنه ينقل عن **فهرست** كتب جابر بن حيان[١] و**فهرست** كتب الرازي[٢]، و**فهرست** كتب عبدان [٣]، و**فهرست** كتب جالينوس الذي أعده حنين ابن إسحق[٤]، وفهرست كتب أرسطو وترجماتها العربية الذي أعده يحيى ابن عدي[٥].

وكما أطلق لفظ (الفهرست) في تراثنا العربي على الأعمال الببليوجرافية التي تحصي المؤلفات، كذلك استخدم منذ القدم بدلالته الحالية عند المكتبيين العرب والأجانب، بدليل ما نجده في المصادر التاريخية من حديث عن فهارس بيت الحكمة أو خزانة الحكمة في بغداد، وخزانة العزيز الفاطمي في القاهرة، وخزانة الحكم المستنصر في قرطبة، وفهارس مكتبة المدرسة النظامية ومكتبة الصاحب بن عباد وخزانة عضد الدولة البويهي بشيراز[٦].

ومع أن الفهارس والببليوجرافيات تدخل تحت مظلة الأعمال الببليوجرافية، إلا أن لكل منها وظيفته. فالفهرس يحصي المقتنيات الموجودة في مكتبة ما. أما الببليوجرافيا فإنها تحصي المؤلفات في موضوع معين، أو التي كتبها شخص معين، بغضّ النظر عن وجودها في المكتبة أو عدم وجودها. ووظيفة الفهرس التعريف بمقتنيات مكتبة من المكتبات. أما القوائم الببليوجرافية فمجالها أوسع، ووظيفتها حصر الإنتاج الفكري والتعريف به بصرف النظر عن الأماكن التي يوجد بها. وظيفة الفهرس تقديم ما تقتنيه المكتبة من أوعية المعلومات إلى الباحثين وتيسير وصولهم إليها عن طريق ما يقدمه من مفاتيح يستخدمها المستفيد

---

(١) ابن النديم: الفهرست. بيروت، مكتبة خياط (مصورة بالأوفست عن طبعة فلوجل)، ص ٣٥٥.

(٢) الفهرست، ص ٢٩٩-٣٠٢.

(٣) الفهرست، ص ١٨٩.

(٤) الفهرست، ص ٢٩٠-٢٩٥.

(٥) الفهرست، ص ٢٥١-٢٥٣.

(٦) انظر على سبيل المثال: المقدسي: أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، تحقيق دي جوج. ليدن: بريل، ١٩٠٦م، ص٤٤٩، ومحمد ماهر حمادة: المكتبات في الإسلام. ط٢. بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٧٨م، ص١٥٤-١٥٦.